الفكر السياسي

عند السيد محمد كاظم اليزدي

الباحث
محمد فرحان عبيد

الأستاذ الدكتور
هادي حسين الكرعاوي

جامعة الكوفة ـ كلية الفقه

الفكر السياسي عند السيد محمد كاظم اليزدي

الأستاذ الدكتور
هادي حسين الكرعاوي

الباحث
محمد فرحان عبيد

جامعة الكوفة ـ كلية الفقه

المقدمة:ـ

يعد السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي من أشهر فقهاء الامامية الذين انتهت اليهم المرجعية الدينية في الثلث الاول من القرن الرابع عشر الهجري، باعتبار ان ولادته في مدينة يزد سنة (١٢٥٢هـ) على ارجح الاقوال، كما ورد في كتب الرجال ومن دوّن تلك المرحلة الزمنية، وحيث ان مراكز العلم متعددة فتوجه اليها ابتغاء لطلب الريادة العلمية مما دعاه الهجرة الى النجف للاستفادة مما اصله الشيخ الاعظم، من نظريات فقهية وأصولية طورت البحث الفقهي وعمقت كيفية الاستدلال فيه فلذلك عد مرحلة جديدة تختلف عن سابقها وخصوصاً في البحث الاصولي حيث ذكر السيد الاميني انه ادرك شطراً من حياة الشيخ الانصاري، حيث اتفق العلماء الذين ترجمو لعصره انه وفد الى النجف الاشرف سنة (١٢٨١هـ) وهي سنة وفاة الشيخ الاعظم فلذلك يقوى في النفس انه ادرك الايام الاخيرة من حياة الشيخ الاعظم بل انه حضر حلقة بحثه لأنه الشيخ لم ينقطع عن درسه مطلقاً.

عموماً ان السيد اليزدي كان جاداً في طلب العلم لتعويض الفترة الزمنية التي فاتته في صباه حيث انه اشتغل في العلوم الشرعية في نهاية العقد الثاني من عمره فلذلك كان يواصل الليل مع النهار لتحصيل العمق المعرفي في التخصص الشرعي، وهذا ما لوحظ عليه عندما حل في النجف الاشرف وانخرط مباشرة في ابحاث الخارج، فتنبه له اساطين المعرفة آنذاك وتوسمو فيه الفضيلة والريادة العلمية في قابل الايام بعد فترة قليلة خصوصاً مع وجود السبل المادية والروحانية بقرب من اضرحة الائمة الاطهار عزز عنده البقاء في تلك الحاضرة العلمية حتى وفاته في رجب (١٣٣٧) وفيها شكل اكبر حلقة بحثية في المنهج والتطبيق الفقهي وكان يلقي دروسه العليا في الحظرة المطهرة للأمير المؤمنين وعلى مستوى الفقه والاصول وقد ضم في طيات بحثه القرآن والرجال وكل ما له علاقة للوصول الى الحكم الشرعي وفق

منهجية رائدة ومتفردة بحيث اسس مرحلة انهت الى حد ما بالاعتماد على كتاب شرائع الاسلام للمحقق الحلي (ت٦٧٦هـ) وبداية مرحلة جديدة يعتمد فيها كأساس كلي على متن العروة الوثقى، حتى انه الشروح لكتاب العروة اكثر من (٤٠) شرحاً استدلالياً هذا من جهة، ومن جهة أخرى ان الاحاطة بكل ما تركه اليزدي على مستوى المنهج والتطبيق يحتاج الى مصنفات، فلذلك حتم على الباحث ان يختار احد ابرز ابداعات المحقق اليزدي في الفكر السياسي حيث انه كان يعالج الواقع بمنظور شرعي، بل ويستغرق في هموم الامة، وهمه الاكبر ان لا يجعل هناك هيمنة للمستبدين على المؤمنين وقد ترجم ذلك فعلياً سواء في مواقفه الخاصة عندما تتعرض الطائفة المحقة الى الاضطهاد من قبل حكام الظلم والجور فأسس نظريته في الحكم حيث يرى (إنّ مصلحة الدولة يجب أن تكون بيد شخص واحد مسؤول عنها، لا يشاركه فيها مشارك. ويحتج لرأيه هذا بما يصل إليه اجتهاده الديني مبرهناً عليه بالبراهين والأدلة المختلفة) واما في دفاعه عن بيضة الاسلام عندما تتعرض الى هجوم شرس من قبل الغرب الكافر فكانت اراء صريحة في مساندة ومعاضدة مسلمو ليبيا ضد الهجوم الايطالي وغيرهم.

إن الفكر السياسي يظهر جلياً عند المحقق اليزدي في اصوله الكلية وتفاصيله الجزئية من خلال امعان النظر في مبانيه التي اسسها في نظام الحكم وقيود وشروط الحاكم والمحكوم وهذا ما سوف نفصله عندما نتناول مبتنياته في المستبدة ومناقشة في الادلة والبراهين وابطال فكرة المشروطة، وهذا ما تكفل به البحث في مطلبه الاول بشكل استدلالي بحيث يثبت للباحث الموضوعي ان الذي يناسب الفهم العرفي لروايات الائمة الاطهار هو تنصيب من يتمتع بشروط الفقاهة والعدالة لتسلم منصب الحكم بصلاحيات مطلقة وهذا ما اثبته في محاور ثلاث:

الأول: تعلق بالفتاوى التي صدرت من مراجع الدين للأحداث في ايران وكيفية موازنة الموقف بما يحقق نصرة الشعب المظلوم اعتماداً على القواعد الكلية التي اسسها الائمة الأطهار لنظام الحكم في الاسلام.

الثاني: تعلق بالإعلان الدستوري الصادر من الدولة العثمانية في (٢٣ تموز١٩٠٨م) حيث كان متأثراً بالفكر الغربي حيث كان فيه مخالفة صريحة للنصوص القطعية الصادرة من المشرع الاسلامي حيث رد ذلك وقال قولته المشهورة (إنّ

الشعارات التي ترفعونها هي شعارات غربيّة، وهؤلاء الذين ينادون بالحرية إنّما يريدون إنهاء الإسلام في البلاد من خلال المظاهر الغربية في الحياة).

الثالث: تعلق بالفوضى في ايران حيث شاع و انتشر في الاوساط العلمية والنوادي الفكرية ان المشروطة افضل علاج لمشاكل الامة، فرد ذلك وقال قول الفصل ان حسن الاختيار من اعيان الامة لشخص يتمتع بمؤهلات القيادة ومنحه كامل الصلاحيات هو خير ضمانة لإشاعة العدل في المجتمع الاسلامي.

أما المطلب الثاني يتعلق بالغزو الايطالي على طرابلس الغرب (ليبيا) وما رافق ذلك من احداث تستوجب موقف منه يعبر عن رأي الشارع بشكله الناضج يحفظ فيه وحدة الامة ويعبر فيه على ان العدو المشترك هو الغرب الكافر وقد اثبت ذلك بفتاوى ورسائل صدرت منه ابرزها خطبته الشهيرة التي اوضح فيها ما تمر به الامة الاسلامية من مؤامرات وكيفية ردعها مقرونة بضرورة التوجه والدعاء بان يحفظ الله بلاد الاسلام من كل شر.

أما المطلب الثالث تعلق بموقفه من الهجوم الروسي على ايران ونصحه وارشاداته لمسلميها في كيفية المحافظة على بلادهم، وانه على اتم الاستعداد بأن يهيى لهم كل الوسائل المادية والمعنوية لتحقيق الانتصار وكانت له خطب بليغة تعبر عن حقيقة موقفه الاصلاحي.

أما المطلب الرابع فقد تعلق بالغزو البريطاني للعراق وكيفية اصداره فتوى الجهاد ضد الغزو البريطاني

أما المطلب الخامس تعلق بأحداث النجف (١٩١٥ - ١٩١٨) حيث كان موقفه دقيقاً بما يحفظ دماء الامة ويحقق عزتهم في العيش الكريم في يلادهم بلا تبعية لاحد.

ثم انتهى البحث الى مجموعة من النتائج تعبر عن اسسه النظرية في اعطاء تصور واضح للأسس والمباني الكلية والتفصيلية لمعالم الفكر السياسي عند السيد اليزدي.

المطلب الأول

الحركة الدستورية الإيرانية (المشروطة) وتداعياتها

المشروطة هي حركة المطالبة بالدستور التي ظهرت في تركيا وإيران، وظهورها في تركيا قبل ظهورها في إيران بما يزيد على ثلاثين سنة، لعب فيها رجال الدين دوراً خطيراً، وكانت

النجف تضمّ أعلاماً عظاماً منهم الحاج ميرزا حسين الخليلي (ت١٣٢٦هـ) وكان ركن النهضة الإيرانية وزعيمها الكبير، عقدت في مدرسته الكبيرة محافل الإيرانيين أيام الاستبداد، الشيخ محمد كاظم الآخوند الخراساني قدس سره (١٣٢٩هـ) والشيخ عبد الله المازندراني قدس سره (١٣٣٠هـ)، والميرزا محمد حسين النائيني قدس سره (١٣٥٥هـ)، وعالم كربلاء السيد إسماعيل صدر الدين قدس سره (١٣٣٨هـ)، والشيخ محمد تقي الشيرازي قدس سره (١٣٣٨هـ) عالم سامراء، والسيد محمد كاظم اليزدي قدس سره، فكانت الغالبية العظمى من الطبقة تؤيّد حكم البلاد بدستور ومجلس نيابي وسمّوا بـ (المشروطة) وعلى رأسهم: الخليلي والخراساني وأتباعهما، وتكوّنت جبهة معاكسة لهم يتزعّمها: السيد محمد كاظم اليزدي وأنصاره، فهو (يرى إنّ مصلحة الدولة يجب أن تكون بيد شخص واحد مسؤول عنها، لا يشاركه فيها مشارك. ويحتج لرأيه هذا بما يصل إليه اجتهاده الديني مبرهناً عليه بالبراهين والأدلة المختلفة)، ومعه أتباعه من مختلف الطبقات وفي مقدّمتهم شاه إيران المستبد حينذاك، وقد رأى السيد اليزدي أنّ هذا الأمر يعقبه فساد عظيم؛ فأبدى نظره واجتهاده بحرمة المشروطة ـ ولذا وقع الخلاف والنزاع ما بين الأهلين والحكومة وأدى الأمر إلى إراقة الدماء، وبما أنّ قادة الرأي العام الإيراني هم علماء النجف، زحفت الحركة إلى النجف وتسعّرت مشبوبة بين المتنوّرين وأكثرهم من المعمّمين الدارسين الذين يؤلّفون حزب المشروطة، وكانت زعامتهم معقودة للخراساني، والعلاّمة الخليلي، والشيخ عبد الله، وبقيّة الأعلام.

أمّا حزب الاستبداد فيتكوّن من عامّة الناس، وزعامتهم معقودة للسيد اليزدي، ولذا اشتدّت الحملة ضد اليزدي من قِبل الأحرار الإيرانيين والدستوريين وفي مقدّمتهم رجال الدين والعلماء، وكما أصدر الشيخ فضل الله النوري الفتوى التي جاء فيها بأنّ تأسيس برلمان وسنّ دستور للبلاد يغاير الشرع الإسلامي، واعتمد محمد علي شاه على هذه الفتوى وحلّ البرلمان وأوقف الدستور، وكان الشيخ محمد تقي نجل الميرزا الخليلي، والميرزا مهدي نجل الشيخ الخراساني، على اتصال وثيق ودائم بالأحرار الدستوريين الإيرانيين في إيران، ولهما التأثير الكبير في الوسط العلمي في النجف في دفع الحركة الدستورية واشتدّت المطالبة بالدستور من قِبل النجف بزعمائها الروحيين وما لهم من تأثير على الشاه، فقد ذهب فريق من التجّار (البازار) والعلماء وغيرهم، إلى السفارة البريطانية ينشدون معونتها، وحين وجدوا منها تشجيعاً التجأوا إليها فخيّموا في حديقتها، وهناك أخذ عددهم يتزايد يوماً بعد

يوم حتى قُدِّر عددهم بنحو من عشرين ألف شخص، وممّا يلفت النظر أنّ السفارة كانت قد استعدّت لإقامة مثل هذه الأعداد الغفيرة، وإنّ الروس كانوا يعتقدون بأنّ حركة المشروطية من تدبير بريطانيا، ويعتبرونها مهدّدة لسطوتهم ونفوذهم في إيران، فاستغلّوا تقرّبهم من بريطانيا في عام ١٩٠٧، وشجّعوا الشاه محمد علي على تعطيل الدستور، وكان الشعار الذي رفعه في ذلك هو أنّ الدستور بدعة مخالفة للشريعة الإسلامية، وعليه صدرت الفتاوى من النجف، تنصّ على جواز محاربة الشاه؛ لهتكه حرمة الشرع الشريف، وكانت لأربعة من الأعلام وهم: الشيخ الخراساني قدس سره، والسيد إسماعيل الصدر قدس سره، والشيخ محمد تقي قدس سره، والشيخ المازندراني قدس سره، بوجوب الجهاد في سبيل الدستور والاستعداد للجهاد والدفاع، وأبرقت البرقيّات بتوسّط العلماء إلى بلاط الشاه، وقد أيّد الشاه في موقفه هذا لفيف من رجال الدين الكبار، منهم الشيخ النوري قدس سره، وكان هذا الرجل من أنصار المشروطية في أول الأمر، ثم انفصل عنهم وأخذ يحاربهم حرباً لا هوادة فيها، ويتّهمهم بأنّهم بابيون وزنادقة، وبهذا انقسم الشعب الإيراني إلى حزبين متطاحنين، وصار كل حزب منهم يكفّر الحزب الآخر ويدعو إلى محاربته، هذه كلها تثبت دسائس الشاه ضد المجلس، ولهذه الحركة تداعيات كثيرة منها :

١- **الشقاق في العراق:** إنّ هذه الأحداث في إيران، لا يمكن أن تمر دون أن يكون لها صداها في المجتمع العراقي، وأنّ الرسائل والاستفتاءات أخذت تنهال من إيران على كبار المجتهدين في النجف؛ تسألهم عن المشروطية هل هي حلال أم حرام؟ وكان جوابهم في أول الأمر أنّ المشروطية موافقة للشريعة الإسلامية، غير أنّهم انقسموا بعدئذ على منوال ما انقسم علماء إيران، فأدّى ذلك إلى ظهور الجدال والتنازع في أوساط العامة، ممّا كان له أثره البالغ في المجتمع العراقي، وتطوّر وعيه السياسي، ومن أوائل الرسائل التي وردت إلى علماء النجف تستفتيهم في أمر المشروطية كانت هذه الرسالة، ننقلها بعد ترجمتها إلى العربية:

(إلى حضرات المجتهدين وحفظة الحكمة الإلهيّة ـ لابدّ وأنّكم سمعتم بمجلس الشورى الشعبي، وأنتم تعرفون جيّداً أنّ هذا المجلس، الذي يعمل على حفظ القوانين المستمدّة من الطريقة الاثني عشرية المقدّسة، لمحو الظالمين والخائنين، ونشر العدل على جميع البلاد وإعلاء شأن الراية الإيرانية، ويؤسفنا أن عدداً من الأنانيين المفسدين أخذوا ينشرون

الافتراءات والأكاذيب من أجل محو المجلس، فنحن ننتظر فتواكم في بيان تكليف المسلمين في هذا الشأن)، وعلى أثر وصول هذا الاستفتاء إلى النجف اجتمع كبار علمائها للجواب عليه، وكانت فتواهم التي اتفقوا عليها هي كما يلي: (بسم الله الرحمن الرحيم، وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على القوم الظالمين إلى يوم القيامة، أمّا بعد: فبالتأييدات الإلهيّة، والمراحم السماوية، وتحت توجيهات الهادي العالي الشأن حضرة صاحب الزمان روحنا فداه: إنّ قوانين المجلس المذكور على الشكل الذي ذكرتموه، هي قوانين مقدّسة ومحترمة، وهي فرض على جميع المسلمين أن يقبلوا هذه القوانين وينفّذوها. وعليه نكرّر قولنا: إنّ الإقدام على مقاومة المجلس العالي، بمنزلة الإقدام على مقاومة أحكام الدين الحنيف، فواجب المسلمين أن يقفوا دون أي حركة ضد المجلس) وقد وقع على هذه الفتوى الشيخ الخراساني بالنيابة عن زملائه المجتهدين.

ولم يتخلف عنهم في ذلك سوى السيد كاظم اليزدي إذ امتنع عن التوقيع، وكان امتناع هذا المجتهد بداية الانقسام بين المجتهدين، ثم أخذ الانقسام يشتد ويستفحل بمرور الأيام، انقسم أهل النجف إلى فريقين متعاديين: أحدهما يدعو إلى المشروطية بزعامة الخراساني، والآخر يدعو إلى الاستبداد بزعامة اليزدي[١] ويعود السيد محمد مهدي الموسوي إلى ذمّ المشروطية، في كتابه عند ترجمته للسيد اليزدي، فهو يصفها على (إنّها هي التي أنزلت الملوك عن عروشها والسلاطين عن تخوتها، وقُتل فيها العلماء الورعون والوزراء العادلون، وأحدثت في الإسلام ثلمة عظيمة لا يسدّها إلاّ ظهور المهدي (عجّ)، وقد ذهب أفراد المشروطة إلى حجّة الإسلام السيد محمد كاظم اليزدي قدس سره ليدخلوه في حزبهم العاطل، كما أغفلوا جماعة من معاصريه، ولكن سيّدنا المعظّم استلم سرّاً عن أحوال الحزب المشروطي من أهالي بعض المدن الإيرانية، ممّن يثق بقولهم، فلمّا كتبوا له حقيقة الأمر لم يدخل في الحزب، وقعد في داره خائفاً يترقّب، وقد أرادوا قتله لكن رؤساء أعراب النجف، وهم أهل الغيرة والحميّة والديانة والفتوّة، حفّوا به وطافوا حول داره، فلم ير العدو الفرصة في قتله، وظنّي أنّ رؤساء النجف هؤلاء لو كانوا في طهران لمنعوا من قتل الشهيد السيد عبد الله البهبهاني... (اللّهمّ أرنا الفجر الصادق والنور البارق، الطلعة الرشيدة والغُرّة الحميدة، مولانا إمام العصر والزمن، الحجّة بن الحسن عليه السلام، ليأخذ من أعداء الدين ثأر المسلمين...)[٢].

وممّا زاد في الطين بلّة أنّ الروس أسّسوا في النجف قنصلية، وعيّنوا لها رجلاً واسع الحيلة، شديد الدأب في مقاومة المشروطية هو أبو القاسم الشيرواني، الذي وقف إلى جانب جماعة السيد اليزدي، ممّا وضع السيد في دائرة الاتهام، وأُطلقت عليه تهمة كونه من أنصار الاستبداد[٣] فكان اليزدي إذا خرج إلى الصلاة حفّ به المسلحون من أعوانه، وهم يهتفون بالصلاة على محمد وآل محمد وصارت الإشاعات تروج في أوساط العامة حول المشروطية، بأنّ المقصود منها هو هدم الدين وإفساد الأخلاق، وفي أحد الأيام ظهر على بعض الجدران في النجف إعلان، فيه صورة يد تمسك مسدّساً وفيه تهديد لليزدي بأنّه سيُقتل إذا لم ينزل على إرادة أنصار المشروطية، فهاج الناس لذلك، وصار أنصار المشروطية عرضة للاعتداء والضرب في الأسواق والطرقات، بحجّة أنّهم زنادقة مارقين عن الدين، والواقع أنّ الجدال حول المشروطية لم يقتصر على النجف وحدها، بل سرى إلى كربلاء والكاظمية وبعض مناطق العراق الأُخرى، حتى وصل الحد إلى أنّ بعض طلبة العلوم الدينية في النجف لم يستطيعوا ولمدّة سنة كاملة من زيارة كربلاء، أو الكوفة، أو مسجد السهلة؛ خوفاً على أرواحهم[٤].

ويروي الشيخ محمد حرز الدين أنّه كان في مسجد السهلة بالكوفة في ٧ شوّال ١٣٢٦هـ/٢ تشرين الثاني ١٩٠٨م، فقدم جماعة من إيران يستفتون الميرزا حسين الميرزا خليلي حول جزاء المحارب لله ولرسوله، ممّن يسعى في الأرض فساداً، هل يجوز قتله؟

وقد كتب الميرزا حسين، والآخوند الخراساني، والشيخ عبد الله المازندراني الجواب بالإيجاب، فأدرك الشيخ حرز الدين أنّ هؤلاء يستهدفون العلماء الذين يعارضون المشروطة، فأسرّ للميرزا حسين بحقيقة الأمر، فطلب أصحاب الاستفتاء فلم يعثروا عليهم، ممّا اضطر الميرزا إلى كتابه ورقة فيها عدول عمّا أفتى به، وتوفّي بعد هذه الحادثة بثلاثة أيام[٥].

٢- **إعلان الدستور العثماني:** أعلن الدستور في البلاد العثمانية في ٢٣ تموز من عام ١٩٠٨م، وانتشرت مظاهر الزينة والابتهاج في العراق بتلك المناسبة، فكان هذا التحوّل الفجائي في موقف الحكومة العثمانية من المشروطية، عاملاً مهمّاً في تدعيم موقف الخراساني وأعوانه، وانخذال أعوان السيد اليزدي، وكانت جماعة السيد اليزدي هي الأقوى، إذ كان يصلّي وراءه الآلاف، في حين لم يكن يصلّي وراء

الآخوند الخراساني سوى عدد قليل لا يزيد على ثلاثين شخصاً، وكان أنصار المشروطة يتعرّضون لمضايقات العشائر العراقية؛ لأنّهم يرونهم خصوماً للسيد اليزدي[٦]، كما تعرّض السيد اليزدي إلى مضايقات حكومة الاتحاد والترقّي، وهدّدوه بالنفي خارج العراق، وكما حاول أحد القادة الأتراك التأثير على موقف السيد اليزدي، فزاره في النجف الأشرف، وطلب منه أن يصدر رأياً في الحركة الدستورية، فأجابه السيد اليزدي: إنّ الشعارات التي ترفعونها هي شعارات غربيّة، وهؤلاء الذين ينادون بالحرية إنّما يريدون إنهاء الإسلام في البلاد من خلال المظاهر الغربية في الحياة [٧].

ثم زار النجف (ثريا بك) من زعماء الاتحاديين، فاجتمع بالخراساني في إحدى المدارس الدينية، فكان يوماً حافلاً في النجف ابتهج له الأنصار وابتأس الخصوم، ويمكن القول إنّ بعض الذين كانوا من أنصار اليزدي تحولوا عنه، وأخذوا يتملّقون للحكومة ويهتفون بأعلى أصواتهم (يعيش الدستور!) - وليس هذا بالأمر الغريب!

٣- **الفوضى في إيران:** كان الإيرانيون يعتقدون أنّ المشروطية ستكون علاجاً ناجعاً لجميع مشاكلهم، ولكنّهم وجدوا بعد انتصار حركة المشروطية، وعزل الشاه محمد علي أنّهم وقعوا في حالة هي أسوأ ممّا كانوا فيها، وأصبح كل مَن ساهم في الحركة طامحاً أن ينال أعظم المناصب، مكافأة له على جهاده في سبيل (المِلّة)، وظهرت عصابات اللصوص في كثير من الأنحاء، يعبثون بالأمن ويقطعون الطرق، وامتنع حكّام الأقاليم عن إرسال ما عليهم من مبالغ للخزينة المركزية، وانقسم الناس شِيَعاً وأحزاباً، كل حزب يعتقد أنّ رأيه هو الذي يجب أن يُتّبع في إصلاح البلاد، إنّ قبائل البختيارية حصلت من تلك الفوضى على حصّة الأسد، فقد احتلّت مدينة أصفهان بحجّة حماية الثورة، واستحصلت من الخزينة المركزية مبلغاً شهرياً قدره عشرون ألف تومان بدعوى حراسة الطريق، وذلك علاوة على ما كانت تجبي من الناس من ضرائب مباشرة، ومن الأعمال التي تورّط بها أنصار المشروطية عند انتصارهم أنّهم شنقوا الشيخ فضل الله النوري، الذي كان يتزعّم أنصار الاستبداد في عهد الشاه محمد علي، وقد قام بشنقه على ملأ من الناس رجل أرمني اسمه بيريم كان مديراً للشرطة حينذاك، فأدّى ذلك إلى شيوع التذمّر في أوساط الكثيرين

من الناس، وانتهز الخصوم الفرصة فجعلوا شنق الشيخ بمثابة الفرصة، وأقاموا له مجالس الفاتحة وحفلات التأبين في كل مكان، وأخذوا يبالغون في تمجيد الشيخ بغية التشهير بالمشروطة وأنصارها، ولم يقتصر ذلك على إيران بل سرت عدواه إلى العراق، فأخذ خصوم المشروطية فيه يكثرون من إقامة مجالس الفاتحة على روح الشيخ[٨].

المطلب الثاني

الهجوم الإيطالي على طرابلس الغرب ـ ليبيا (١٣٢٩هـ/١٩١١م)

أسفرت نتائج مؤتمر برلين الذي اختتم أعماله في ٢٣ تموز ١٨٧٨م/٢٠ رجب ١٢٩٥هـ، عن توقيع الدول الأوربية على اتفاقية تقرّر فيها تمزيق الإمبراطورية العثمانية، وتقسيمها على مبدأ القوميات، وفعلاً باشرت الدول الاستعمارية في إنجاز مقرّرات المؤتمر، فاستولت روسيا على مقاطعات هامّة في شرق الأناضول وقفقاسيا، وفرضت نفوذها على جزء من بلغاريا التي تجزّأت إلى ثلاثة أقسام، واحتلّت البوسنة والهرسك، واستولت بريطانيا على جزيرة قبرص، وسيطرت فرنسا على تونس عام ١٨٨١م. أمّا إيطاليا فقد اعترضت على المؤتمر؛ لأنّها لم تحصل على أيّة حصّة من تقسيم الإمبراطورية العثمانية[٩]، وجرت مفاوضات عديدة تمخّضت عن عدّة اتفاقيات، كانت منها الاتفاقية السريّة بين إيطاليا وروسيا في تشرين الأول ١٩٠٩م وقد ورد فيها:

(يعمل الطرفان على حلّ مسائل البلقان وفق القوميات، وتتعهّد روسيا أن تنظر بعين العطف إلى مصالح إيطاليا في طرابلس، وتتعهّد إيطاليا أن تنظر بعين العطف إلى مصالح روسيا في المضايق)[١٠] عند ذلك أمر السيد اليزدي بعقد اجتماع عام، وألقى خطبة (أوضح فيها ما تمرّ به الأُمّة الإسلامية، ومؤامرات المستعمرين، ودعاء للمدافعين عن بلاد الإسلام) ثم أعقبه الشيخ جواد الجواهري، فرقى المنبر وشرح بعض مقاطع الخطبة وما حوته من المغازي) وفيه يذكر السيد محمد علي كمال الدين: أنّ الخطبة لم تكن بالمستوى الذي كان يأمله القائم مقام وبعض المتظاهرين، ويئس الجميع من إمكان توحيد رأي السيد مع آراء بقيّة العلماء يأساً تاماً، وقد تمخضت هذه المظاهرة عن أمرين:

١- عدول بعض مقلّدي السيد اليزدي عنه؛ لشدّة انفعالهم من الوضع الذي شاهدوه واستغربوا أمره.

٢- تصلب بقيّة العلماء في آرائهم، وإعلانهم الفتوى بوجوب الدفاع وجوباً عينيّاً على كل مسلم ومسلمة، وطُبعت صور الفتاوى بآلة التصوير، وبعثوا بها إلى عموم الأقطار الإسلامية، وكان نصّ فتوى علماء النجف الأشرف:

بسم الله الرّحمن الرّحيم {من علماء النجف الأشرف إلى كافة المسلمين الموحدين، ومَن جمعتنا وإيّاهم جامعة الدين والإقرار بمحمد ﷺ سيّد المرسلين، السلام عليكم أيّها المحامون عن التوحيد، والمدافعون عن الدين، والحافظون لبيضة الإسلام، لا يخفى عليكم أنّ الجهاد لدفع الكفّار عن بلاد الإسلام وثغوره، ممّا قام إجماع المسلمين وضرورة الدين على وجوبه. قال الله سبحانه: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هذه جنود إيطاليا، قد هجموا على طرابلس الغرب التي هي من أعظم الممالك الإسلامية وأهمّها، وخرّبوا عامرها، وأبادوا أبنيتها، وقتلوا رجالها ونسائها وأطفالها، ما لكم تبلغكم دعوة الإسلام فلا تجيبون؟ وتوافيكم صرخة المسلمين فلا تغيثون، أتنتظرون أن يزحف العدو إلى بيت الله الحرام وحرم النبي والأئمّة عليهم السلام، ويمحو الديانة الإسلامية والدولة العثمانية عن شرق الأرض وغربها، وتكونوا معشر المسلمين أذل من قوم سبأ، فالله الله في التوحيد، الله الله في الرسالة، الله الله في أحكام الدين وقواعد الشرع المبين، فبادروا إلى ما افترضه الله عليكم من الجهاد في سبيله، واتفقوا ولا تفرقوا، وأجمعوا كلمتكم، وابذلوا أموالكم، وخذوا حذركم) ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (لئلاّ يفوت وقت الدفاع وأنتم غافلون، وينقضي زمن الجهاد وأنتم متثاقلون، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) خادم الشريعة المطهّرة (محمد كاظم) الخراساني. الجاني (عبد الله) المازندراني. الجاني شيخ الشريعة الأصفهاني. الأقل علي رفيش. الجاني مصطفى الحسيني الكاشاني. خادم الشريعة محمد حسين القمشي. أقل خدّام الشريعة حسن ابن المرحوم صاحب جواهر الكلام، الراجي عفو ربّه الغفور محمد جواد الشيخ مشكور. الراجي عفو ربّه محمد نجل المرحوم صاحب الجواهر. الجاني علي التبريزي. محمد سعيد الحبّوبي. الأحقر جعفر نجل المرحوم الشيخ عبد الحسن. وقد نشرت هذه الفتوى في مجلة العلم النجفية: ع٦/م١/٢٤٧، ٢٣ تشرين الثاني ١٩١١م.

وفي آخر العدد نفسه، ص٢٨٤ نشرت المجلة خبراً بعنوان: بشارة عظمى موافقة حضرة السيد كاظم اليزدي (مُد ظلّه) مع العلماء في الحكم وجوب السعي وبذل النفس والنفيس

في سبيل الدفاع عن طرابلس، واستخلاص إيران من مخالب الروس والإنكليز، وهذه صورة فتواهم ترجمة عن الفارسية قال (دام ظلّه) العالي:

بسم الله الرّحمن الرّحيم (في مثل هذا اليوم الذي حملت الدول الأوربية على الممالك الإسلامية كإيطاليا على طرابلس الغرب من جهة، والروس من جهة أُخرى أشغل شمال إيران بعساكره والإنكليز، أنزل عساكره في جنوب إيران وأحدث بالإسلام خطر اضمحلاله. فلهذا يجب على عموم المسلمين من العرب والعجم، أن يستعدّوا لدفاع الكفار عن ممالك الإسلام، ولا يتقاعدوا بكل صورة عن بذل أنفسهم وأموالهم في سبيل إخراج عساكر إيطاليا من طرابلس الغرب، وإخراج عساكر الروس والإنكليز من إيران، فإنّ ذلك أهم الفرايض الإسلامية؛ لكي يحفظ بعون الله المملكتان الإسلاميتان العثمانية والإيرانية من مهاجمة الصليبيين. حرّره الأحقر، محمد كاظم الطباطبائي[١١].

وفي كربلاء عقد الأهالي اجتماعاً عند ضريح الإمام الحسين عليه السلام أُلقيت فيه الخطب الحماسية، ثم جرى جمع التبرّعات، وفي ١٢ تشرين الأول ١٩١١م/١٨ شوال ١٣٢٩هـ، شهدت مدينتا النجف الأشرف وسامراء تظاهرات جماهيرية، أُلقيت فيها الخطب الحماسية، ودعا الخطباء إلى نبذ الخلافات الطائفية وتوحيد الجهود، كما أرسل الشيخ محمد كاظم الخراساني قدس سره، والسيد إسماعيل الصدر قدس سره، والشيخ عبد الله المازندراني قدس سره، والشيخ محمد حسين المازندراني قدس سره، وشيخ الشريعة الأصفهاني قدس سره، برقيّة إلى الصحف التركية في اسطنبول يحتجّون فيها على انتهاكات المستعمرين للبلاد الإسلامية[١٢] وفي صفر ١٣٣٠هـ/شباط ١٩١٢م، أصدر الشيخ محمد تقي الشيرازي قدس سره، وشيخ الشريعة الأصفهاني قدس سره، والسيد إسماعيل الصدر قدس سره، والشيخ عبد الله المازندراني قدس سره، والشيخ محمد حسين المازندراني قدس سره، بياناً حول الموضوع نفسه، يستنكرون فيه هذا الاعتداء، ويحذرّون من الحملات المسعورة التي يقوم بها الاستعمار ضد البلاد الإسلامية نصّه: (نلفت أنظار جميع أهل التوحيد، وكافّة المسلمين، بأنّ الإسلام والمسلمين لم يصلوا في أيّة فترة من الفترات، مثلما وصلوا إليه في هذه الفترة من الزمن، إنّ المصائب التي يمر بها الإسلام اليوم تُعتبر من أشدّ المصائب. وإنّ الضربات التي يتلقّاها العالم الإسلامي اليوم هي من أشدّ الضربات.. وإنّ أساس الدين المبين في خطر، وآثار شريعة الرسول صلى الله عليه وآله مهدّدة بالزوال، ولم تبق في هذه الفترة سوى دولتين إسلاميتين مستقلّتين، هما الدولتين العليّتين العثمانية

والإيرانية، اللتين تحملان اللواء المحمدي، وتحميان حوزة الإسلام والحرمين الشريفين والمشاهد المقدّسة. إنّ بقاء حرمة القرآن الكريم، وإعلاء كلمتي الشهادة، وإقامة دعائم الدين المبين، يتوقّف على بقاء هاتين الدولتين الإسلاميتين... وإذا ما اضمحلّت هاتان الدولتان ـ لا سمح الله ـ فلن يبقَ هناك للإسلام جامعة أو حوزة، وستلحق بالإسلام والمسلمين وصمة عار أبديّة وخذلان دائم، لا أرانا الله ذلك اليوم أبداً، واليوم يقوم بعض الأجانب بحملات مسعورة ضد هاتين الدولتين، اللتين باتتا تعانيان كافة أشكال المضايقات والابتلاءات، فمن جهة امتدّت يد الظلم الإيطالية نحو مسلمي طرابلس الغرب، حيث تسلب أموال الأهالي ويتعرّض النساء والأطفال إلى القتل، ومن جهة أُخرى تقوم القوّات الروسية بتصويب نيران مدفعيتها ضد الضعفاء والعجزة في تبريز، وتقوم بإعدام كبار الشخصيات هناك، وفي قزوين ورشت تدخّل أجنبي ظالم. واستناداً إلى ذلك وبالنظر إلى هجوم الكفّار، فقد قرّرنا نحن خدمة الشرع المنير مع جميع العلماء الأعلام من كربلاء والنجف وسامراء، وحسب مسؤوليتنا الشرعية التجمّع في الكاظمية، عسى أن نجد حلاً لإنقاذ المسلمين من ظلم الأجانب وعدوانهم، وإذا لم يتمكّن المسلمون في أقطار العالم، الذين يعيشون في ظل حكم الأجانب بذل النفس لمساعدة إخوتهم، فبإمكانهم تقديم المساعدة عن طريق إبداء التضامن معه[١٣]، ممّا اضطرّ بالحكومة العثمانية إلى عقد صلح مع إيطاليا، تنازلت فيه عن طرابلس وبنغازي لإيطاليا، على أن يحتفظ السلطان العثماني بحق تعيين الموظّفين الدينيين، وبعض الصلاحيات الدينية البسيطة الأُخرى، لكن هذا الإجراء لم ينفع الدولة العثمانية، شرعت جيوش بلغاريا واليونان وصربيا والجبل الأسود بالهجوم على العثمانيين، وبذا بدأت حرب ضروس تُعَد من أبشع الحروب في ضراوتها، وفي المآسي التي نتجت عنها[١٤].

المطلب الثالث

الهجوم الروسي على إيران ١٣٣١ ـ ١٣٣٢هـ/١٩١٢م

بعد أن خُلع محمد علي شاه في تموز ١٩٠٩، وعادت الحياة الدستورية إلى إيران، وجدت روسيا أنّ نفوذها لم يعد كما كان أيام الشاه، ولم تر في الحكم الجديد أي مصلحة لها، ولذلك قرّرت أن تقلق الوضع في إيران بأي وسيلة كانت، ولجأت إلى تقديم دعمها في مساعدة الشاه المخلوع إلى عرشه - بعد أن فشل وهرب وقُتل كبير أعوانه - عن طريق

استغلال الأوضاع الداخلية الإيرانية، ففي عام ١٩١١ زحفت القوّات الروسية نحو مدينة تبريز فاحتلّتها، ثم عمدت إلى شنق بعض رجال الدين فيها من أجل إرهاب غيرهم، فأدّى ذلك إلى الهياج العام في إيران، فأعلن رجال الدين الجهاد، وأخذوا يتدرّبون على السلاح تحت إشراف رجال الدين، وكان قد وصل إلى النجف الأشرف خبراً مفاده: أنّ الروس قد اتفقوا مع الإنكليز سرّاً مرةً أُخرى، ممّا جعل علمائها يتأثّرون من مواقف العداء السافر للبلد المسلم إيران، وأوشك الفساد أن يعم البلاد، لولا أنّ الحكومة الحاضرة أرادت بحكم القانون أن تستولي على مثيري الفتنة، وتصادر أموالهم وأملاكهم، فقد كان هذا مقدّمة لدخول جيوش روسية كثيرة أُخرى دخلت إلى قزوين لاحتلالها، وفي ١٣ ذي الحجّة ١٣٢٩ أبرق رئيس مجلس النوّاب خبر دخول جيوش الروس، وهجومه على قزوين إلى كربلاء، إلى السيد إسماعيل صدر الدين، وإلى النجف الأشرف، وإلى جميع المسلمين هناك، وفي ١٧ ذي الحجّة ١٣٢٩ عُقد مجلس حافل بالعلماء والأكابر من رجال الدين في دار الشيخ الخراساني، ثم خطب الخطباء على الجمع المحتفلين والمتظاهرين معهم خطباً بليغة أبكت الجميع، ثم وعدوا الناس بالعمل لإصلاح الحالة، ثم قرّ القرار بالاجتماع مرة أُخرى في دار السيد الصدر عصراً، ولّما اجتمعوا هناك أجمع رأيهم على السفر إلى الكاظمية، والغرض من ذلك أُمور:

أولاً: لتكذيب اختلاف العلماء فيما بينهم، وسفر أكثر العلماء معاً متّفقين متّحدين.

ثانياً: صدور الأمر الواحد من الجميع إلى عشائر إيران، وأهل المدن بالاتحاد مع الحكومة في رد عادية الروس، بواسطة البرقيات والرسائل والرسل إليهم.

ثالثاً: إبلاغ جميع الأقطار الإسلامية كالهند والقفقاز، وأمرهم بالهيجان وإظهار الاستياء، وغلق الحوانيث والمحلات، وتعطيل الأعمال؛ احتجاجاً في يوم معيّن على الروس ودخولها إلى إيران، كما أنّهم يأمرون جميع عشائر إيران بالنهضة والدفاع عن بيضة الإسلام، موافقة لحكوماتهم في مقابل الظلم والعدوان.

رابعاً: اطلاع جميع دول الأجانب بواسطة قناصلهم وسفرائهم على التعدّي الروسي، بعد تصديق القنصل الإيراني في بغداد رسميّا، ومقدّمة لهذا السفر أبرقوا برقيّة مناسبة بإمضاء جميع العلماء إلى السلطان العثماني محمد رشاد وهذا مضمونها: إلى أعتاب السدّة السلطانية وحامي الخلافة الإسلامية: (بسم الله الرحمن

الرحيم، بسبب الهجوم على الإسلام من كل جانب أصبح العالم الإسلامي في هيجان، نحن بصفتنا رؤساء المذهب على ثمانين مليون من المسلمين الجعفريين القاطنين في إيران والهند وسائر النقط الإسلامية، متفقاً حكمنا بوجوب الجهاد والدفاع عن الدين والنفوس، وعلى جميع المسلمين فرض عين أن يضربوا على أيدي المسبّبين لإراقة دماء المسلمين صيانة لدين محمد ﷺ لذلك فإنّا نعرض أعتاب حامل الأمانة المقدّسة وخادم الحرمين الشريفين، وخليفة الإسلام، ونعلمه مترحّمين أن لا يحرموا المسلمين إعطاء لواء محمد النبوي إلى المسلمين المجتمعين من أقطار العالم للدفاع والجهاد، زمان السياسة اللادينية قد زال ومضى. فالرجاء الأمر بذلك بمقتضى الشريعة وشأن الخلافة الإسلامية) محمد كاظم الخراساني، محمد حسين الحائري.

وقد أصدر الشيخ الخراساني بعد ذلك فتوى بالجهاد. وبعد أن قُضي الاجتماع نادى المنادي في البلد بأنّ العلماء أجمعهم سيسافرون يوم الثلاثاء ٢٠ ذي الحجّة ١٣٢٩هـ، إلى كربلاء، ومن هناك إلى الكاظمية فمَن شاء الاشتراك فليبادر والله مع الجميع[١٥]، وقد أوعز الخراساني بنصب الخيام في ظاهر النجف، وتعبئة المجاهدين فيها استعداداً على السفر إلى إيران، لدفاع الروس عنها، وقد نُصبت الخيام فعلاً على جبل السلام، خارج المدينة، والمراسلات جارية على أشدّها بين كبار العلماء في النجف والكاظمية لإعداد عدّة السفر إلى إيران، وكان المقرّر أنّ السفر سيتم تحت رئاسة الشيخ الخراساني يصحبه من المجتهدين الشيخ عبد الله المازاندراني قدس سره، وشيخ الشريعة قدس سره، والسيد مصطفى الكاشي قدس سره، والسيخ عبد الهادي شليلة البغدادي قدس سره، والشيخ حسن علي القطيفي قدس سره، وكان السيد صالح الحلّي قد سبقهم بجماعته إلى الكاظمية ينتظر اجتماعي العلماء هناك[١٦].

ثم تقدّم عليهم بالسفر إلى كربلاء السيد الصدر ليهيّئ لهم المحل وليستقبلهم هناك، وفي يوم الاثنين قبل السفر بيوم وردت برقية من قنصل بغداد إلى الصدر أنه وردت برقية من طهران تشعر بعدم لزوم حركة العلماء، ولكنّ الشيخ الخراساني قال: نحن لا عن عزم الحركة غير أنّا نذهب إلى كربلاء، وهناك نرى رأينا وننتظر الخبر الأخير، ثم أمر الجماعة بأنّي سوف أُصلّي الصبح في الحرم العلوي، وبعد زيارة الوداع أسافر إلى كربلاء صبحاً

قبل أن يكثر الناس، ومَن شاء فليلتحق بي بعد ذلك، ثم ودّع الحاضرين ودخل إلى داخل الدار ليستريح ويستعد للحركة صبحاً، وبقي من خواصّه والمقرّبين لديه العلاّمتان الشيخ علي الشاهرودي ﷺ، والشيخ أحمد الدشتي ﷺ في غرفة الاستقبال لينام هناك، حتى إذا أصبح الصباح مشياً بخدمته إلى الحرم المطهّر، ثم إلى كربلاء، وبينما كان الخراساني على أُهبة السفر شعر بتوعّك مفاجئ في صحّته، وقبل أن تشرق شمس الصباح التالي أدركته الوفاة؛ وكانت وفاته صدمة عنيفة لحركة الجهاد، ممّا جعل تحرّك العلماء والمجاهدين يتأخّر لبعض الوقت، إلاّ أنّ الاهتمام بالتحدّي الاستعماري ظلّ يستوعب نشاط الوسط الشيعي، فخلال مراسيم التأبين والفاتحة التي أُقيمت للشيخ الخراساني، كانت الخطب والقصائد الشعرية تتركّز حول الأخطار التي يتعرّض لها العالم الإسلامي من قِبل الدوائر الاستعمارية، وتؤكّد على ضرورة التصدّي للهجمة الاستعمارية على بلاد المسلمين)[١٧] وفي محرّم ١٣٣٠هـ اجتمع لفيف من المجتهدين في الكاظمية كان فيهم: السيد مهدي الحيدري ﷺ، والشيخ مهدي الخالصي ﷺ، والسيد إسماعيل الصدر ﷺ، والشيخ عبد الله المازندراني ﷺ، والشيخ فتح الله الأصفهاني ﷺ، والشيخ محمد حسين القمشئي ﷺ، والسيد علي الداماد ﷺ، والسيد مصطفى الكاشاني ﷺ، وقرروا إعلان الجهاد على روسيا على منوال ما فعل الخراساني الراحل، وامتنع مجتهدان كبيران عن الحضور إلى مؤتمر الكاظمية، الميرزا محمد تقي الشيرازي في سامراء، والسيد كاظم اليزدي في النجف.

فقرّر الشيخ مهدي الخالصي أن يسافر بنفسه إليهما بغية إقناعهما بالانضمام إلى الحركة، ولم يجد الخالصي صعوبة في إقناع الشيرازي عندما ذهب إليه في سامراء، غير أنّه عند ذهابه إلى النجف لم يتمكّن من الاجتماع باليزدي لمحادثته في الموضوع، (وفي أحد الأيام بينما كان الخالصي في النجف يواصل مساعيه للاجتماع باليزدي، وقع عليه اعتداء من قبل بعض العامة، وقد أسرع الخالصي إلى مغادرة النجف والعودة إلى الكاظمية درءاً للفتنة، وحين سمع أهل الكاظمية بالحادث تحفّزوا لأخذ الثأر، إذ لم يهن عليهم أن يعتدي أهل النجف على عالمهم دون أن ينتقموا له وقد بذل الخالصي جهده لتهدئتهم، كان والي بغداد يومذاك جمال بك، وكان على صلة وثيقة بالخالصي، فلمّا سمع بحادث الاعتداء عليه أمر بإلقاء القبض على المعتدين وبسوقهم مكبّلين إلى بغداد. وانبرى الخالصي يتشفّع

لهم عند الوالي حتى جعله يأمر بإطلاق سراحهم. وفي زحمة هذه الأحداث نسي الناس جهاد الروس، وانشغلوا بجهاد بعضهم بعضاً)[١٨]..

وتمّ تشكيل لجنة من ثلاثة عشر عالماً لإدارة التحرّك ضد الاحتلال الروسي لإيران، فبينما كانت لجنة العلماء تواصل اجتماعاتها في مدينة الكاظمية، أقدمت القوات الروسية على اجتياح مدينة تبريز، وقامت بمجازر بشعة كان من ضمنها إعدام مجموعة من العلماء، وقد أثار هذا الحدث مشاعر علماء الدين في العراق، فأعلن السيد محمد كاظم اليزدي أنّه سيتوجّه إلى الكاظمية للمشاركة في تجمّع العلماء، أثار عزم علماء الدين على التحرّك إلى إيران على رأس كتائب المجاهدين، اهتمام الحكومة الإيرانية، فأرسلت برقية تطلب فيها من العلماء عدم التوجّه إلى إيران[١٩].

وفي أواخر آذار ١٩١٢م، وصل إلى العراق خبر مفاده: أنّ الجيوش الروسية قصفت بالمدافع مشهد الإمام الرضا في خراسان؛ فانهدم جزء من القبّة والسقف وأدّى ذلك إلى قتل وجرح عدد من الزوّار الذين كانوا يتهجّدون فيه، وحملت الأنباء انتهاب الروس لقسم من مكتبة الإمام الرضا عليه السلام وإرسالها إلى بطرسبوغ عاصمة الإمبراطورية حينذاك، وزيد تجاوز الجيش على الحرم واستخدامه اصطبلاً... إلى غير ذلك من الأعمال المنكرة، ولم تؤخذ بعض هذه الأنباء بنظر عامة النجف موقع التصديق إلاّ في شهر محرّم، حيث عودة الزوّار من خراسان، فكان لأنباء الزوّار أكبر وقع على النجفيين، وأعظم حادث أهاج الأفكار، فكان هذا الحادث أبلغ سلاح استخدمه القائم مقام عبد العزيز في إثارة العامة أثناء العشرة الأُولى من شهر محرم، موسم المآتم والاجتماعات والتظاهرات الدينية، يلج المآتم الكبيرة ويطلب من القرّاء أن ترثي البلاد الإسلامية، من طرابلس الغرب وخراسان، وأن يوضحوا للناس صور الحروب الدموية في تلك البلاد، وما آلت إليه حال أهليها وعلمائها ومساجدها إزاء اعتداء إيطاليا والروس فتتألّم الناس وتصخب، وعندئذ قامت قيامة النجف، فاختلطت التظاهرات في مصيبتين عظيمتين عثمانية - إيرانية[٢٠] وأخيراً سحبت الحكومة الروسية جيشها من إيران طبقاً للسياسة الروسية - البريطانية، التي بدأت تتوحّد حذراً من السياسية الزاحفة، وأيضاً لقاء معاهدة عُقدت بين إيران وروسيا، وكانت في صالح الروس، وعند هذا ساد الهياج في مختلف أنحاء إيران والعراق، ووجد المجتهدون في العراق أنّ من الضروري استئناف حركة الجهاد من جديد.

المطلب الرابع

حركة الجهاد ومقاومة الغزو البريطاني للعراق عام ١٣٣٢ ـ ١٩١٤

في أواخر (ت١ - ١٩١٤) أعلنت كل من روسيا وفرنسا وبريطانيا الحرب على العثمانيين والسيطرة على البلاد الإسلامية وقبل إعلان الحرب كانت بريطانيا قد استكملت إجراءاتها في غزوها لمنطقة الخليج، من خلال عقد عدّة اتفاقيات مع ملوك الخليج لكن المشكلة التي واجهتها هي موقف علماء الشيعة من احتلال العراق، حيث كانت بريطانيا تدرك أنّ علماء الشيعة لا يمكن أن يتقبّلوا الاحتلال البريطاني، وذلك من خلال المواقف التي تبنّوها إزاء الاحتلال الاستعماري للأقاليم الإسلامية، وتصدّيهم لأي محاولة استعمارية تستهدف كيان المسلمين السياسي، فقد أسرع علماء الدين الشيعة إلى إعلان الجهاد فور تعرّض العراق لهجوم القوات البريطانية، وبعد إعلان الحرب تقدّمت القوات البريطانية نحو العراق في (١٤ - ت٢ - ١٩١٤م)، فاحتلّت الفاو[٢١] فبدأت حركة الجهاد في العراق في (١٩ - ت٢ - ١٩١٤)، لمداهمة الجيوش الإنكليزية الغازية من جهة البصرة، فاستغاثوا برجال الدين قبل أن تعلن بريطانيا الحرب على الدولة العثمانية، فأبرق وجهاء مدينة البصرة إلى علماء الدين في العتبات المقدّسة (النجف، كربلاء، الكاظمية) ومختلف البلدان العراقية، ببرقيات يطلبون فيها منهم أن ينهضوا بالأمر، ويعلنوا الجهاد المقدّس والنفير العام، ويؤكّدون فيها أنّ الإنكليز إذا احتلوا العراق فسيهدمون مساجده وعتباته المقدّسة، ويحرقون القرآن، وينتهكون حرمات النساء، ويذبحون الأطفال والشيوخ، فهاجوا وماجوا، وأغلقوا أسواقهم، وعطّلوا أعمالهم واجتمعوا في الساحات والميادين والعتبات ينتظرون أوامر علمائهم؛ فأصدر العلماء بوجوب الدفاع عن كل مسلم، وأبرقوا إلى العشائر المحيطة بالبصرة، ففي الكاظمية، رقى المنبر السيد مهدي الحيدري، فوعظ وحرّض، وأعلن خروجه بنفسه إلى ميدان الحرب.

أمّا النجف فقد وصلها وفد من بغداد مؤلّف من محمد باشا الداغستاني، وشوكت باشا، والشيخ حميد الكليدار، وغيرهم؛ لمحادثة المجتهدين الكبار في هذا الأمر، ولدى وصولهم استقبلوا بحفاوة بالغة، تمّ عقد اجتماع حافل في جامع الهندي حضره الكثير من العلماء ورؤساء العشائر، وخطب فيه السيد محمد سعدي الحبّوبي، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ محمد جواد الجواهري، حيث ذكروا وجوب مشاركة الحكومة المسلمة

في دفع الكفّار عن بلاد الإسلام، وبعد ذلك ذهب الشيخ حميد الكليدار إلى الكوفة لمقابلة المرجع السيد اليزدي، وعرض أمر الجهاد عليه، فوافق السيد اليزدي على إرسال ولده السيد محمد لينوب عنه في استنهاض العشائر للجهاد[٢٢].

وفي (١٢ - ت٢ - ١٩١٤م) اجتمع مشايخ الهندية والشامية والمشخاب في مدينة الكوفة للمذاكرة في أمر الجهاد، وقد حضر معهم فاضل باشا الداغستاني من بغداد ممثّلاً عن الحكومة العثمانية، وعزم على التوجّه إلى الجعّارة ـ ناحية الحيرة ـ ثم إلى الديوانية، وفي (ك١ ١٩١٤) صعد السيد اليزدي المنبر في الصحن الحيدري وخطب في الناس خطبة حثّهم فيها على الدفاع عن البلاد الإسلامية، لاسيّما عرب العراق واليمن وطرابلس الغرب، وتوجّه من النجف إلى ساحة الحرب، عن طريق الفرات، عدد من المجتهدين مع أتباعهم، وصاروا ينزلون في المدن والعشائر الواقعة في طريقهم بغية تحريضهم على الجهاد؛ فكانت أول مجموعة من المجاهدين برئاسة السيد محمد سعيد الحبّوبي، وكان أشد المجاهدين حماساً للجهاد.

أمّا في بغداد فقد كان الشيخ مهدي الخالصي أشد حماساً للجهاد في الكاظمية حيث دعا الخالصي علماء الكاظمية للاجتماع في غرفة الكليدار بالصحن الكاظمي، للمداولة في أمر الجهاد وإصدار الحكم فيه، وكان على رأسهم السيد حسن الصدر، والشيخ عبد الحسين الأسدي، السيد مهدي الحيدري الذي كان يُعدّ في ذلك الحين كبير علماء الكاظمية، كما نُصبت الخيام في ظاهر الكاظمية استعداداً للسفر، ثم أطلقت المدافع، وارتفعت الهتافات بحياة السلطان رشاد وسقوط الإنكليز وأبرق السيد مهدي الحيدري إلى علماء النجف وكربلاء وسامراء، يخبرهم بأنّه عازم على محاربة العدو الكافر مهما كلّف الأمر، ثم أوعز بعقد اجتماع عام في الصحن الكاظمي، ولّما اجتمع الناس صعد السيد مهدي على منبر أُعد له وأخذ يخطب فيهم، يحثّهم على الخروج للجهاد.

وفي ٢٦ - ت٢ - ١٩١٤م، توجّه الوفد النجفي من النجف إلى بغداد ومنها إلى جبهة الحرب عن طريق دجلة يضم كل من الشيخ فتح الله شيخ الشريعة، والسيد علي الداماد التبريزي، والسيد مصطفى الكاشاني، وموفدو السيد اليزدي، ولده السيد محمد، والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، والسيد إسماعيل اليزدي، وبعض طلبة العلوم الدينية. وقد وصل بغداد يوم (٢٩ - ت٢ - ١٩١٤م)[٢٣].

فقد قام السيد اليزدي بالتأكّد على حرصه على مشاركة العراقيين جميعاً في الدفاع عن بلادهم ضد الغزاة البريطانيين، من خلال عشرات الرسائل والبرقيات التي بعث بها إلى الشيوخ والتجّار والوجهاء، وإلى وكلائه في المدن العراقية، وفي ذلك كله كان السيد اليزدي على اتصال بالإدارة العثمانية في بغداد، يعلمها بتحرّكاته، وينسّق معها بشأن تفعيل التصدّي للمحتل البريطاني.

وفي (٣٠ - ت٢ - ١٩١٤م)، خرج من الكاظمية السيد مهدي الحيدري يتقدّم موكباً كبيراً ومعه الشيخ مهدي الخالصي، وثلّة من العلماء، وعشرة من أُسرته وهم أولاده السيد أسد الله، والسيد أحمد، والسيد راضي، وأبناء أخيه السيد عبد الكريم، والسيد محسن، والسيد صادق، وابني عمّه السيد عبد الحسين، الذي استشهد في الحرب، والسيد جعفر، وابن ابن أخيه السيد عبد الأمير، والشيخ عبد الحميد الكليدار، وجموع غفيرة من أبناء بغداد والكاظمية وقد شيّعته الكاظمية وضواحيها بأسرها[٢٤]، وفي (٩ ك١ ١٩١٤م) كانت ضفاف دجلة على الجانبين قد امتلأت بالجماهير، وكانت هناك باخرة اسمها (الموصل) راسية في جانب الرصافة، فركبها المجاهدون الحاج داود أبو التمّن، والسيد صادق العطّار الحسني البغدادي، والسيد عبد الكريم الحيدري، وفي مقدّمتهم العلماء الأعلام: السيد علي الداماد التبريزي، وشيخ الشريعة، والسيد مصطفى الكاشاني، والميرزا مهدي الخراساني، والميرزا محمد رضا الشيرازي، والشيخ حسن علي القطيفي، ثم سارت نحو القرنة بين تكبير الجماهير وتهليلهم[٢٥].

المطلب الخامس

أحداث النجف بين عامي ١٩١٥ ـ ١٩١٨م

عندما أفتى العلماء بوجوب الجهاد ضد الاستعمار البريطاني خلال الحرب العالمية الأُولى؛ استجاب رؤساء النجف لدعوة الجهاد وتحمّسوا لأداء واجبهم الإسلامي، (٢٢ مايس ١٩١٥)، اندلعت في النجف ثورة ضد الإدارة التركية، ودارت معارك عنيفة بين الثوّار وبين القوات العثمانية دامت إلى (٢٤ مايس ١٩١٥م)، حيث اضطرّت الحامية إلى الاستسلام، وجُرّدت من السلاح بعد فقدانها جماعة منها فيهم بعض الضبّاط، وطلب القائد والقائم مقام (بهيج بك) والمستخدمون الأمان، وجرت مفاوضات توسّط بها خازن المشهد وبعض رؤساء النجف، تمخّضت عن انسحاب القوة وبعض موظفي الحكومة، وبقاء

وجود رمزي لها. وتسلّم النجفيون منذ ذلك اليوم أزمّة الحكم في البلدة، واستمروا سنتين كاملتين، انتهت بتمكّن حكومة الاحتلال من محاولة بسط نفوذها على النجف واحتلالها سنة ١٩١٨.

وأنّ موقف السيد اليزدي كان يمكن أن يفهمه رؤساء النجف على أنّه في صالح الثورة، فخلال المعارك أُصيبت مآذن الصحن العلوي الشريف بقذائف الأتراك، ممّا جعل السيد اليزدي يشجب هذا الاعتداء ببرقية أرسلها إلى اسطنبول(٢٦).

وكان موقف السيد اليزدي دقيقاً في حركة الأحداث آنذاك، فالأتراك يخوضون حرباً دفاعية ضد الاستعمار البريطاني، ورغم مؤازرة علماء الشيعة وأبناء العشائر والمدن الشيعية لهم، إلا أنّهم لم يثمّنوا هذه المواقف الكبيرة للشيعة، الذين تناسوا الخزين التاريخي، ووقفوا إلى جانب الأتراك بدافعٍ إسلامي واعٍ، فالسيد اليزدي ومعه علماء الشيعة كانوا يقفون إزاء معادلة سياسيّة حسّاسة وخطيرة، وقد تعاملوا مع الظرف بطريقة واعية دقيقة؛ وذلك باعتماد منهجين أساسيّين في صياغة الموقف:

الأول: الإبقاء على موقفهم السابق في مواجهة الاحتلال البريطاني، كخط شرعي ثابت.

والثاني: الحفاظ على المكسب الاستقلالي الذي حقّقه رؤساء النجف، وإنهاء حالة المواجهة والثورة المسلّحة ضد الأتراك، مع تنظيم صيغة رمزية للعلاقة مع الحكومة المركزية، تحفظ هيبتها وصورتها الرسمية أمام الرأي العام، ورغم دقّة هذه المنهجية السياسية على المستوى التطبيقي، إلاّ أنّه أمكن تنفيذها بنجاح، بحيث إنّ العلاقة مع الدولة العثمانية لم تشهد تصعيداً جديداً، كما أنّ علاقة السيد اليزدي الوثيقة برؤساء النجف ساهمت في إدارة الشؤون العامّة للمدينة بشكل جيّد، فكانت توصياته تُنفّذ من قِبل الرؤساء، وكان ختم السيد اليزدي يُعتمد في الشؤون الإدارية كالأملاك والعقارات، وغير ذلك من المعاملات التي تتصل بحياة الناس وشؤونهم العامّة(٢٧).

وقد شهدت النجف فترة ازدهار اقتصادي لم تشهدها تحت الإدارة العثمانية، والوضع العام كان جديداً عليها؛ لذلك كانت تحدث مظاهر خلل نتيجة التحوّل الإداري في

المدينة، ويُضاف إلى ذلك أنّ الفراغ الأمني الذي خلّفه الأتراك، لم يكن من السهولة أن تملأه الإدارة الجديدة، فكانت تقع اشتباكات مسلّحة بين النجف وبعض العشائر المحيطة بها، وكان للسيد اليزدي دور في أطفاء هذه الأشتباكات وإجراء صلح بين الطرفين، وقد بعث الإنكليز بجواسيسهم إلى النجف يرغّبون رؤساءها بالاتصال بالإنكليز، لكنّ النزعة الاستقلالية كانت قوية عند بعض الرؤساء، فبعثو رسالة إلى الإنكليز يحذّروهم فيها من التدخّل بشؤون النجف، وحامل الرسالة يفيد أنّ السيد اليزدي يؤيّد هم في هذا الأمر) لذلك جاء ردّهم حذراً يحاول تهدئة الطرف الآخر، وإنّ التأكيدات البريطانية، ومحاولات التهدئة التي جاءت في الجواب الرسمي جاء في الجواب: (إنّ البريطانيين يكنّون أخلص المشاعر نحو رجال الدين، وأهالي الأماكن المقدّسة، وقد انتهزوا كلّ فرصة للتعبير عنها وإنّنا سوف نواصل ذلك، ونحن على ثقة بأنّ السيد محمد كاظم اليزدي والشيخ عطية سيكنّان لنا نفس المشاعر، ونرجو أن يتأكّدا أنّه ليس في نيّتنا التدخّل بأيّ شكل من الأشكال في الشؤون الدينية للعتبات)[٢٨]، لم تؤثّر على موقف السيد اليزدي ورؤساء النجف، إذ أعلن السيد اليزدي وبقيّة علماء الدين دعوتهم الثانية للجهاد، دفاعاً عن الدولة الاسلامية ضد الاحتلال البريطاني، وذلك في (ت٢ - ١٩١٥م)، وخلال فترة الدعوة الثانية للجهاد، كانت الأزمة النفسية لا تزال موجودة بين الحكومية العثمانية ورؤساء النجف؛ لذلك لم يتحمّس الرؤساء في البداية لدعوة الجهاد، لكنّهم استجابوا نزولاً عند طلب علماء الدين، وتفاعلوا مع مراسيم إخراج العلم الحيدري من المرقد العلوي الشريف يوم ١١ محرم ١٣٣٤هـ، وأُقيم احتفال كبير في الصحن الشريف حضره علماء الشيعة، وجاء حملة السلاح من محلاّت النجف يهتفون بالنصر للدين والدولة، ووصل المجاهدون إلى الكاظمية، وقد أعقب ذلك عودة التوتّر بين رؤساء النجف والموظفين الأتراك في المدينة. ففي (١٦ ك٢ ١٩١٦م)، شاع خبر في النجف مفاده أنّ حكومة بغداد أرسلت قوة كبيرة للانتقام من النجف، وإثر ذلك وقع اشتباك بين حَمَلة السلاح ورجال الشرطة الأتراك، وفي (٥ آذار ١٩١٦م)، استدعى السيد اليزدي رؤساء النجف إلى مدرسته للاجتماع بهم، وعرض عليهم برقية القائد العثماني العام في العراق، التي وصلته قبل يومين من الاجتماع، وفيها يشكر علماء الشيعة على مواقفهم. ثم طلب منهم السيد اليزدي أن ينهوا الأزمة، ويعودوا إلى طاعتها ووعدهم باستحصال العفو عنهم[٢٩]. واستطاع السيد اليزدي أن ينهي الأزمة بين الطرفين، وقد ظلّت سلطتهم الإدارية قائمة على المدينة إلى جانب الوجود الرمزي للحكومة، إنّ هذه المواقف

الكبيرة لعلماء الشيعة، والتي تنطلق من إخلاصهم، وفهمهم لمتطلّبات الظرف، وضرورة مساندة الدولة ضد الغزو الاستعماري، لم يقابلها الأتراك بما تستحق من تقدير حقيقي، إنّما ظلّت سياستهم المعادية للشيعة تسير على نمطها القديم، فقد أراد الأتراك الانتقام من مدينة الحلّة على ثورتها التي اندلعت عام ١٩١٥م، ضمن ثورات مناطق الفرات الأوسط في تلك الفترة، فلا تفكّر في الخروج على الحكومة العثمانية كما حدث في النجف، وفي (ت٢ ١٩١٦م)، أرسلت الحكومة قوة عسكرية بقيادة (عاكف بك) فدخل الحلّة وأخذت قوّاته بحرق وهدم البيوت وقتل الأهالي، ثم نفّذ حكم الإعدام شنقاً بحق مئة وستة وعشرين رجلاً وبلغ عدد القتلى (١٥٠٠) وتمّ نفي أعداد من الأهالي بينهم نساء وأطفال، مات قسم منهم خلال الطريق إلى الأناضول[٣٠] وكان لهذه الفاجعة صداها المؤثّر على المناطق الشيعية، وفي مدينة النجف الأشرف، فعقد رؤساء العشائر القريبة من النجف اجتماعاً في المدينة، دعا فيه الحاضرين إلى عدم طاعة العثمانيين لظلمهم، ووجد علماء الدين الشيعة أنّ حركة النجف ضد الأتراك لا تخدم الموقف العسكري في التصدّي للزحف البريطاني، وأنّ الظرف يستدعي تجاوز إساءات الأتراك والتمتّع بالوعي السياسي المطلوب؛ لذلك مارسوا دورهم في حل الأزمة سلمياً مع السلطات العثمانية وهذا ما توضّحه الوثيقة التاريخية التالية، وهي رسالة بعثها الميرزا محمد تقي الشيرازي في ١٦ كانون الأول ١٩١٦م إلى السيد كاظم اليزدي، ننقلها بنصّها:

(بسم الله الرحمن الرحيم) السلام عليك يا أمير المؤمنين وعلى ضجيعيك وجاريك ورحمة الله وبركاته، حضرة ملاذ الأنام وحجّة الإسلام السيد الأجل دام ظلّه، أمّا بعد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أدام الله ظلّكم على المسلمين وتوفيقهم لرشدهم في طاعتك، وهداهم في امتثال أوامركم ونواهيكم، ونفعهم ببركات موعظتكم وأجركم، وحباهم ببركة ذلك خير الدارين وسلامة الدين والدنيا. فغير خفيٍّ عليكم سوء أثر التشاويش في النجف من بعض الجهّال، وقبح نتيجتها ووخامة عاقبتها، ومنافاتها لمراعاة حرمة المشهد المعظّم، واقتضائها لسوء الجوار لأمير المؤمنين عليه السلام وأنتم أبصر بذلك وأعرف له، وإنّي مطمئن بدوام اهتمامكم بهذا الأمر من كلّ وجه، ومواظبتكم على النصح والوعظ والزجر، ولكنّي أحببت مذاكرتكم بذلك؛ لأُشاركم في الأجر، والفوز في إصلاح أُمور المسلمين. وقد كاتبنا حضرة القائد العام ومعاون الولاية بطلب العفو والمراعاة، سائلين من الله صلاح أمر الإسلام، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. في ٢٠ شهر صفر

الخير ١٣٣٥ الأحقر محمد تقي الشيرازي (الختم)[٣١].

استطاع علماء الشيعة السيطرة على الأزمة، وهم في ذلك قدّموا الدليل الكبير على حرصهم وإخلاصهم لبلاد المسلمين ضد الغزو الاستعماري البريطاني، وأثبتوا تفهّمهم لظروف الدولة الحرجة أكثر من الأتراك أنفسهم، رغم سوء معاملة هؤلاء للشيعة واستخدام القوّة، وسياسة الانتقام بحقّهم.

نتائج البحث:

خلص البحث من خلال مطالبه الخمسة الى مجموعة من النتائج تعد هي الاساس في استكشاف حقيقة والخلوص الى حل واقعي وجذري لمشكلته المفترضة في بداية المبحث بحيث يكون عملياً ومنتجاً لحقيقة معرفية طالما اشكل على المعرفة الاسلامية بانها بعيدة عن الواقع السياسي المعاش وهذه الفرضية السائدة عند المثقفين المتأثرين بالثقافات الدخيلة ظهرت على انها موهومة ولا واقع لها من خلال تبني علمائنا الاعلام وعلى مختلف القرون المعرفية المتقدمة في التصدي الى بيان المظلومية من قبل حكام الجور والطاغوت واعطاء التصورات الواقعية لحقيقة الحكم في الدولة الاسلامية كمشروع حضاري يتبناه علمائنا الاعلام وعلى هذا يمكن ان نلخص اهم النتائج في البحث وهي:

١- ان الحاضنة التي اكتنف ونشأ فيها السيد اليزدي لم تكن متمحضة للعلم بل ان واقعها المعاشي يهتم بالعمل الحرفي المتخصص بالزراعة.

٢- ان السيد اليزدي توجه الى طلب العلم والمعرفة وفي خصوص اتقانه للقراءة والكتابة بوقت متأخر بالقياس الى اقرانه وهذا ما أثر على تحصيله العلمي المتعلق بعلوم الشريعة الا انه عوض ذلك بصبره وتحديه لكل المصاعب بل جعلها سلماً لرقيه العلمي.

٣- ان العصر الذي اثر في السيد اليزدي واثرى معرفته كان متجهاً ال العلوم العقلية ومتخصصة في بناء منهج التفكير الاصولي فأهتم السيد اليزدي بأثره على الاستنباط في انتاج المعرفة الفقهية وهذا ما يعلل اشتهاره بالانتاج الفقهي لأنه اخذ المنهج المؤثر في الاستنباط من دون ان يهتم بالمباحث الزائدة التي تؤثر على الفهم العرفي.

٤- ان الاحداث التي عاصرها السيد اليزدي من تردي الوضع الاجتماعي

والاقتصادي الناتج من ظلم الحكم العثماني هو الذي نضج مبناه السياسي وطبقه على الاحداث الداخلية والخارجية.

ملخص البحث:

يعد السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي من أشهر فقهاء الامامية الذين انتهت اليهم المرجعية الدينية في الثلث الاول من القرن الرابع عشر الهجري، باعتبار ان ولادته في مدينة يزد سنة (١٢٥٢هـ) على ارجح الاقوال، مما دعاه الهجرة الى النجف للاستفادة مما اصله الشيخ الاعظم، من نظريات فقهية وأصولية طورت البحث الفقهي وعمقت كيفية الاستدلال فيه، حيث اتفق العلماء الذين ترجمو لعصره انه وفد الى النجف الاشرف سنة (١٢٨١هـ) وهي سنة وفاة الشيخ الاعظم فلذلك يقوى في النفس انه ادرك الايام الاخيرة من حياة الشيخ الاعظم بل انه حضر حلقة بحثه لأنه الشيخ لم ينقطع عن درسه مطلقاً.

وعموماً ان السيد اليزدي كان جاداً في طلب العلم، وهذا ما لوحظ عليه عندما حل في النجف الاشرف وانخرط مباشرة في ابحاث الخارج، فتنبه له اساطين المعرفة انذاك وتوسمو فيه الفضيلة والريادة العلمية في قابل الايام بعد فترة قليلة خصوصاً مع وجود السبل المادية والروحانية بقرب من أضرحة الائمة الاطهار عزز عنده البقاء في تلك الحاضرة العلمية حتى وفاته في رجب (١٣٣٧) وفيها شكل اكبر حلقة بحثية في المنهج والتطبيق الفقهي بحيث اسس مرحلة انهت الى حد ما بالاعتماد على كتاب شرائع الاسلام للمحقق الحلي (ت٦٧٦هـ) وبداية مرحلة جديدة يعتمد فيها كأساس كلي على متن العروة الوثقى، حتى انه الشروح لكتاب العروة اكثر من (٤٠) شرحاً استدلالياً هذا من جهة، ومن جهة اخرى ان احاطة المحقق اليزدي في الفكر السياسي حيث انه كان يعالج الواقع بمنظور شرعي، بل ويستغرق في هموم الامة، وهمه الاكبر ان لا يجعل هناك هيمنة للمستبدين على المؤمنين وقد ترجم ذلك فعلياً سواء في مواقفه الخاصة عندما تتعرض الطائفة المحقة الى الاضطهاد من قبل حكام الظلم والجور فأسس نظريته في الحكم حيث يرى (إنّ مصلحة الدولة يجب أن تكون بيد شخص واحد مسؤول عنها، لا يشاركه فيها مشارك. ويحتج لرأيه هذا بما يصل إليه اجتهاده الديني مبرهناً عليه بالبراهين والأدلة المختلفة).

وان الفكر السياسي يظهر جلياً عند المحقق اليزدي في اصوله الكلية وتفاصيله الجزئية من خلال امعان النظر في مبانيه التي اسسها في نظام الحكم وقيود وشروط الحاكم والمحكوم

وهذا ما سوف نفصله عندما نتناول مبتنياته في المستبدة ومناقشة في الادلة والبراهين وابطال فكرة المشروطة، وهذا ما اثبته في محاور ثلاث:

الأول: تعلق بالفتاوى التي صدرت من مراجع الدين للاحداث في ايران وكيفية موازنة الموقف بما يحقق نصرة الشعب المظلوم اعتماداً على القواعد الكلية التي اسسها الائمة لنظام الحكم في الاسلام

الثاني: تعلق بالإعلان الدستوري الصادر من الدولة العثمانية في (٢٣ تموز ١٩٠٨م) حيث رد ذلك وقال قولته المشهورة (إنّ الشعارات التي ترفعونها هي شعارات غربيّة، وهؤلاء الذين ينادون بالحرية إنّما يريدون إنهاء الإسلام في البلاد من خلال المظاهر الغربية في الحياة).

الثالث: تعلق بالفوضى في ايران حيث شاع و انتشر في الاوساط العلمية والنوادي الفكرية ان المشروطة افضل علاج لمشاكل الامة، فرد ذلك وقال قول الفصل ان حسن الاختيار من اعيان الامة لشخص يتمتع بمؤهلات القيادة ومنحه كامل الصلاحيات هو خير ضمانة لاشاعة العدل في المجتمع الاسلامي، اما ما يتعلق بالغزو الايطالي على طرابلس الغرب (ليبيا) وما رافق ذلك من احداث تستوجب موقف منه، وقد اثبت ذلك بفتاوى ورسائل صدرت منه ابرزها خطبته الشهيرة التي اوضح فيها ما تمر به الامة الاسلامية من مؤامرات وكيفية ردعها مقرونة بضرورة التوجه والدعاء بان يحفظ الله بلاد الاسلام من كل شر.

أما ما تعلق بموقفه من الهجوم الروسي على ايران ونصحه وارشاداته لمسلميها في كيفية المحافظة على بلادهم، وانه على اتم الاستعداد بأن يهيء لهم كل الوسائل المادية والمعنوية لتحقيق الانتصار وكانت له خطب بليغة تعبر عن حقيقة موقفه الاصلاحي. أما ما تعلق بالغزو البريطاني للعراق وكيفية اصداره فتوى الجهاد ضد الغزو البريطاني، وما تعلق باحداث النجف (١٩١٥ – ١٩١٨) حيث كان موقفه دقيقاً بما يحفظ دماء الامة ويحقق عزتهم في العيش الكريم في يلادهم بلا تبعية لاحد.

ثم انتهى البحث الى مجموعة من النتائج تعبر عن اسسه النظرية في اعطاء تصور واضح للأسس والمباني الكلية والتفصيلية لمعالم الفكر السياسي عند السيد اليزدي.

Abstract

Is Mr. Mohammed Kazem Tabatabai Yazdi of months jurists front who ended them religious authority in the first third of the fourteenth century AH، considering that he was born in the city of Yazd year (1252 AH) to the most correct، which invited him to migrate to Najaf to take advantage of what origin Sheikh Azam، of Theories doctrinal and fundamentalist developed search idiosyncratic and deepened how inference which، as agreed scientists who Torgomo of his time he delegation to Najaf year (1281 AH) a year in the death of Sheikh Azam therefore strengthens the self he realized the last days of the life of Sheikh Azam but he attended his research because he Sheikh not ceased to study it at all. Generally that Mr. Yazdi was serious in seeking knowledge، and this is what was observed when a solution in Najaf and engaged directly in research abroad، Vtenbh his masters knowledge at the time and Tosmo where virtue and scientific leadership in hushed days shortly after، especially with the existence of material means and spirituality near the Adharhhalaúma pure boosted him to stay in the present scientific until his death in July (1337) and in the form of larger ring research in the curriculum and application idiosyncratic so the foundations stage ended somewhat depending on the book canons of Islam investigator ornaments (d. 676 AH) and the beginning of a new phase depends where Casas entirely on aboard the most trustworthy handhold، so he annotations to book loop more than (40) explanation indicative the one hand، the other hand that surround investigator Yazdi in political thought، where he was treated reality perspective legitimate، but it takes the concerns of the nation، and his main concern biggest that ايجعل there dominance the dictators on the believers has been translated so effectively، both in his own when exposed sect legitimate to persecution by the rulers of injustice and Aljorvoss theory of governance where he sees (the interests of the state must be، however، one person responsible for it، not shared by participants. argues for his opinion this up the religious diligence demonstrating various substantiated evidence) And political thought is evident when Detective Yazdi in assets overall and details

partial through closer look at the buildings، which was founded in the government system and the restrictions and conditions ruler and the ruled and that's what will Nfsalh when we Mptnyate in authoritarian and discuss the evidence and proofs and Champions idea conditional، and this is proven by the axes three:

First: comment fatwas issued by the religious authority of the events in Iran and how to balance the position to achieve the support of the oppressed people depending on the rules of college founded by the imams to the system of government in Islam.

Second: attached Blaalan constitutional issued by the Ottoman Empire in the (July 23، 1908)، where the response that said famously (The slogans Tervonha are slogans Western، and those who advocate freedom but they want to Islam in the country through appearances Bank in life).

Third: attached chaos in Iran، where popularized and spread in the scientific community and clubs intellectual that conditional best treatment for problems of the nation، the individual that said words chapter that proper selection of notables nation for someone with qualifications leadership and give him full authority is the best guarantee for the rumor of Justice in the Muslim community، either What the invasion Italian to Tripoli (Libya) and accompanying events requiring position it has proved that the fatwas and messages issued him the most prominent of his famous speech which explained where you pass the Islamic nation of plots and how to deter coupled with the need to go and pray that God keep the country Islam of all evil.

But what attached position of the Russian attack on Iran and advised him and guidance to its Muslims in how to maintain a home، and he was ready for that Ahay them with all the material and moral to achieve victory was his speeches eloquent express the fact his reformist. Either what attached invasion British invasion of Iraq and how to publish it fatwa Jihad against the British invasion، and attaches to cause Najaf (1915 - 1918)، where he was an accurate position in a manner that preserves the blood of the nation and achieve live in decent in Aladehm without subordination to one.

Then your search is over to a set of results reflect founded in theory give a clear vision of the foundations and college buildings and the detailed parameters of political thought when Mr. Yazdi

هوامش البحث

(١) محمد علي كمال الدين، التطور الفكري في العراق: ٢٣، بغداد ١٩٦٠،.

(٢) السيد محمد مهدي الموسوي الكاظمي، أحسن الوديعة في تراجم أشهر مشاهير مجتهدي الشيعة: ١٥٣.

(٣) حسن شبر، تأريخ العراق السياسي المعاصر، ٢: ٨٢، ط١/ دار المنتدى للنشر- بيروت، ١٩٩٠.

(٤) السيد محمد حسن القوجاني النجفي، سياحة في الشرق: ٣٠٣، ترجمة يوسف الهادي، ط دار البلاغة ـ بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٥) الشيخ محمد حرز الدين معارف الرجال، ١: ٢٧٨،ط، النجف ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

(٦) د. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٥: ١١٨، بغداد ١٩٧٢.

(٧) السيد سليم الحسني، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ٢٦، ط بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(٨) لمحات اجتماعية، ٣: ١٢٣.

(٩) لمحات اجتماعية، ٣: ١٢٣.

(١٠) البلاد العربية والدولة العثمانية ص١٧٥.

(١١) النجف في ربع قرن ١٤٨ - ١٤٩.

(١٢) تاريخ العراق السياسي المعاصر، ١١١/٢.

(١٣) هجوم روس ايران وإقدام رؤساء دين در حفظ ايران: نظام الدين زاده، ط بغداد ١٣٣١هـ: ٢٢١.

(١٤) ففي يوم ١٧ تشرين الأول ١٩١٢م/٦ ذي القعدة ١٣٣٠هـ- أي قبل يوم واحد من توقيع معاهدة الصلح مع إيطالي البلاد العربية والدولة العثمانية، ١٩٢.

(١٥) المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني: عبدالرحيم محمد علي، ط النجف ١٣٩٢هـ/١٠٠. وينقل الشيخ محمد شريف آل كاشف الغطاء عن والده الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، عند نيّة سفر الآخوند الخراساني، اقترحنا على السيد اليزدي الذهاب لتوديعه، وقلنا له عند عدم ذهابك سوف يتأذّى طلاّبك ومقلّديك، وكرّرنا عليه القول، وضع يده على الأرض وقال: أنا عندي الله، وفي الصباح علمنا بوفاة الشيخ الخراساني.

(١٦) النجف في ربع قرن: محمد علي كمال الدين: ١٥٠، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط بيروت.

(١٧) دور علماء الشيعة ٦٧.

(١٨) د. الوردي في لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ١٢٧/٤.

(١٩) هجوم روس بايران وإقدامات رؤساء دين در حفظ ايران، ص٣٦ - ١٣٧١، ظ. دور علماء الشيعة ٦٨.

(٢٠) النجف في ربع قرن: ١٤٧.

(٢١) تاريخ العراق بين احتلالين ٢٥٤/٨.

(٢٢) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ١٢٧/٤.

(٢٣) مذكرات الشيخ محمد رضا الشبيبي، لكامل سلمان الجبوري، ط بيروت ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. ص١٧٩.

(٢٤) الإمام الثائر السيد مهدي الحيدري، للسيد أحمد الحسيني، ط النجف. ظ. مقابر قريش أو الكاظمية، السيد كاطع العوّادي ص٧٠ - ٧١.
(٢٥) لمحات اجتماعية ١٣٣/٤ - ١٣٤.
(٢٦) موسوعة العتبات المقدسة - قسم النجف جعفر الخليلي، ط بيروت ١٩٦٥م. ٢٥١/١.
(٢٧) دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ط بيروت، السيد عبد العزيز الطباطبائي: ٤٥.
(٢٨) العراق، دراسة في تطوره السياسي: جعفر خياط، بيروت ١٩٤٩م. نشأة الدولة، ص١١٨ - ١.
(٢٩) لمحات اجتماعية ٢٦٣/٤.
(٣٠) الحقائق الناصعة في الثورة العراقية، فريق المزهر الفرعون، ط بغداد، ١٣٧١هـ. ٤٥/١.
(٣١) دور علماء الشيعة، ص١٣.

قائمة المصادر والمراجع

١- محمد علي كمال الدين، التطور الفكري في العراق، بغداد ١٩٦٠،.

٢- السيد محمد مهدي الموسوي الكاظمي، أحسن الوديعة في تراجم أشهر مشاهير مجتهدي الشيعة، ط، النجف، ١٩٦٨.

٣- حسن شبر، تأريخ العراق السياسي المعاصر، ط١/ دار المنتدى للنشر- بيروت، ١٩٩٠.

ظ. السيد محمد حسن القوجاني النجفي، سياحة في الشرق، ترجمة يوسف الهادي، ط دار البلاغة ـ بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٤- الشيخ محمد حرز الدين (ت١٣٦٥هـ) معارف الرجال، تحقيق: محمد حسين حرز الدين، ط النجف ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٥- علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، بغداد ١٩٧٢، ١٩٧٨م.

٦- السيد سليم الحسني، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار ١٩٠٠ - ١٩٢٠، ط بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٧- لويس دوللو، التاريخ الدبلوسي: ٧٦.

٨- البلاد العربية والدولة العثمانية: ٤٣.

٩- هجوم روس ايران وإقدام رؤساء دين در حفظ ايران: نظام الدين زاده، ط بغداد ١٣٣١هـ/١٩٢١م.

١٠- المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني: عبدالرحيم محمد علي، ط النجف ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

١١- النجف في ربع قرن: محمد علي كمال الدين، تحقيق وتعليق: كامل سلمان الجبوري، ط بيروت ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٢- مذكرات الشيخ محمد رضا الشبيبي، ط بيروت ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٣- الإمام الثائر السيد مهدي الحيدري، للسيد أحمد الحسيني، ط النجف، ١٩٦٧م

١٤- مقابر قريش أو الكاظمية، السيد كاطع العوّادي.

١٥- موسوعة العتبات المقدسة ـ قسم النجف جعفر الخليلي، ط بيروت ١٩٦٥م.

١٦- دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار ١٩٠٠ - ١٩٢٠،السيد سليم الحسني، ط بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٧- العراق، دراسة في تطوره السياسي: جعفر خياط، بيروت ١٩٤٩م

١٨- الحقائق الناصعة في الثورة العراقية، فريق المزهر الفرعون (ت١٣٨٥هـ)،ط بغداد، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.